حواضن المخطوطات الجزائرية بعيون غربية

د. بوسغادي حبيب
المركز الجامعي بلحاج بوشعيب – عين تموشنت
habibalii15@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019/03/06	2019/03/17	2020/06/05

مُلخّص البحث

تحاول هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على قضية هامة جدا، والتي تتعلق بملامسة المخطوط الجزائري ومعرفة أماكن أحضانه، باعتبار هذا الأخير المرآة العاكسة والمقياس الحقيقي الذي تقاس به حضارة الأمم، وإنّ نهضة أي أمة لا يتجلى إلا من خلال الاعتناء بتراثها والحرص على جمعه وإحيائه وإخراجه من غيابات الجب إلى النور.

وتعد الجزائر من البلدان العربية الغنية بالمراكز التي تحتفظ بالمخطوطات، كالزوايا والخزائن الشعبية والمساجد والكتاتيب القرآنية ومكتبات الأفراد والأسر المنتشرة عبر التراب الوطني، وإني أكاد أجزم أنّ ما خلفه علماؤنا القدامى من كنوز المخطوطات التي تمثل شتى المعارف والعلوم أكثره مازال قابعا في بطون هذه المراكز، ينتظر الأيادي الأمينة التي تميط عنه غبار السنين والقرون وتبعث فيه الروح من جديد.

سنحاول أن نعرف أجيالنا المتعاقبة وخاصة طلبة العلم بأماكن تواجد هذه المراكز من خلال ما تعرض له الباحث التركي فؤاد سزكين في كتابه تاريخ التراث العربي الذي يعتبر ببليوغرافية معرفية لكل دُورِ المخطوطات المتواجدة في كل أصقاع العالم، ومنها الجزائر.

الكلمات المفتاحية: المخطوطات– ببليوغرافيا– تاريخ التراث العربي – الخزائن

Abstract

This paper attempts to shed light on a very important issue, which concerns the contact with the Algerian manuscript and the knowledge of its places of residence, considering that the latter is the reflective mirror and the real measure to which the civilization of nations is measured. The Renaissance of any nation is manifested only by taking care of its heritage and its keenness to collect, Absence of the pit into the light.

Algeria is one of the richest Arab countries in the centers that keep manuscripts, such as the corners, the treasuries, the mosques, the Koranic libraries, the libraries of individuals and families scattered across the national territory. The faithful hands that give away the dust of the years and the horns and breathe the spirit again.

We will try to know our successive generations, especially the science students, about the location of these centers through what was presented by the Turkish researcher Fouad Szkin in his book History of Arab Heritage, which is bibliographic knowledge of all the role of manuscripts located in all parts of the world, including Algeria

Keywords:script - Bibliography - History of Arab heritage – Safes.

تقديم:

تحاول هذه الورقة البحثية أن تميط اللثام عن قضية هامة لطالما شغلت الدارسين المتخصصين في هذا الميدان، هذه القضية تتعلق بالمخطوط الجزائري والأماكن التي تحضنه، وإني أحيط القارئ علما أني لست بدعا ممن سيكون أول من سينقب في هذه المسألة، وحسبي أن أشير أنّ هناك العشرات من البحوث الفردية والجماعية، الآكاديمية منها والهاوية، حاولت أن تكشف عن هذا الكنز المفقود والمتناثر هنا وهناك.

وارتأيت أن ينهض هذا البحث على النقاط الآتية:

أولا / الدراسات التي بحثت في المخطوط الجزائري (مكانه، جمعه، فهرسته).

ثانيا/ تحقيق المخطوطات ضرورة علمية.

ثالثا/ فؤاد سزكين، العالم بالعلوم العربية الإسلامية.

رابعا/ حواضن المخطوطات في الجزائر من خلال كتاب تاريخ التراث العربي.

أولا / الدراسات التي بحثت في المخطوط الجزائري (مكانه، جمعه، فهرسته).

من الدراسات والبحوث التي اهتمت بالتعريف بأماكن تواجد المخطوط الجزائري، والتي قمنا بتصفح غالبيتها الآتي بيانه:

1/ المؤلفات:

أ/ كتاب موسوم بـ: (المخطوطات الجزائرية بخزائن الدول العربية والإسلامية) للدكتور بريك الله حبيب، فالباحث في كتابه هذا وجدناه قد قام بجولة ماراطونية طاف من خلالها في ربوع العالم العربي الإسلامي، وقضى هذه الفترة بين رفوف المكتبات والخزائن والمساجد والمكتبات العامة والخاصة، فمثلا حين وجوده

بالمملكة المغربية عرج على الخزانة الحسنية والمكتبة العامة بالرباط.....وبتونس ولى الوجهة نحو خزانة الصادقية وخزانة الباروني.....وبالسعودية ارتاد خزانة الدمام وجامعة أم القرى....وبمصر زار جامع الأزهر ومكتبة طنطا ومكتبة الإسكندرية....وغيرها من البلاد العربية الإسلامية المترامية الأطراف.

ووجدناه يقول بعظمة لسانه أنه قد وفّر الجهد والوقت على الباحثين المشتغلين في حقل المخطوطات، كما أنه يسّر لهم مجموعة ضخمة من العناوين ذاكرا مؤلفيها أو شراحها مع فهارسها وأرقامها في أماكن تواجدها.

ب/ الكتاب الثاني الذي لا يقل عن سابقه وهو موسوم بـ: (المخطوطات الجزائرية وأعلامها في الخزائن والمكتبات الإفريقية) للدكتور أحمد أبّا الصّافي جعفري، وهذه الدرّة قسّمها صاحبها إلى مجموعة من الفهارس، وضمّن كلّ فهرس أهم المخطوطات المترامية في مراكز وخزائن الدول الإفريقية، على غرار خزائن مالي، ومكتبات غانا، ودار الوثائق القومية بكادونا النيجيرية، وخزائن شنقيط وخزائن ودان بموريتانيا، وخزانة نيامي بالنيجر والخزانة العامة بالرباط بالمملكة المغربية، إضافة إلى عناوين بعض المخطوطات في غرب إفريقيا.

2/ الدوريات والمجلات:

خلال جولة غير قليلة مع عالم المجلات ألفينا أنّ هناك العشرات من الباحثين مَنْ بحث في هذه القضية، وكلّ واحد من هؤلاء سجل الأماكن التي توجد بها هذه المخطوطات، واختلف انتاجهم من حيث الكثرة والقلة، ويعتبر الدكتور عبد الكريم عوفي من المكثرين في هذا الصدد، ومن البحوث التي أنجزت في هذا الميدان، نورد بعضا منها:

أ- مجلة معهد المخطوطات العربية التي تصدر بالقاهرة، ومن البحوث التي نشرت فيها الآتي:

أ-1/ المخطوطات في الجزائر، عبد الكريم عوفي، المجلد 41، الجزء1، (ماي 1997، ص ص 351-374.

أ-2/ مراكز المخطوطات في الجزائر، عبد الكريم عوفي، المجلد 39، الجزء1، جويلية 1995، ص ص 07-24.

أ-3/ المكتبة الجزائرية وعنايتها بالكتاب العربي المخطوط، محمد عبد القادر أحمد، المجلد 18، الجزء1، ماي 1972، ص ص 189-204.

أ-4/ فهرس نظارة الشؤون الدينية بباتنة، الجزائر، عبد الكريم عوفي، المجلد 39، الجزء 2، يناير 1996، ص ص 07-56.

ب-مجلة عالم المخطوطات والنوادر التي تصدر بالرياض بالمملكة العربية السعودية، ومن البحوث التي نشرت فيها الآتي:

ب-1/ جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات العربية منذ منتصف القرن 19 حتى نهاية القرن 20، عبد الكريم عوفي، المجلد 4، العدد1، مايو-أكتوبر، 1999، ص ص 04-62.

ب-2/ جمعية التراث بالقرارة ومشروعها الطموح لحماية المخطوطات، عبد الكريم عوفي، المجلد 3، العدد 2، يناير-أفريل 1999، ص ص 459-487.

ت-مجلة آفاق الثقافة والتراث التي تصدر بقسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية بالإمارات العربية المتحدة، ومن البحوث التي نشرت فيها الآتي:

ت-1/ التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم، عبد الكريم عوفي، العدد 27-28، السنة 2000، ص ص 63-90.

ت-2/ مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري- إقليم توات أنموذجا- عبد الكريم عوفي، العدد 34، السنة 2001، ص ص 113-129.

ت-3/ خزائن المخطوطات الخاصة بولاية أدرار الجزائريين بين تشدد المالكين ورغبة الباحثين، عز الدين بن زغيبة، العدد21، مارس 2008، ص4-5.

ت-4/ رحيل المخطوطات الموت المصنوع بأيدينا وأيدي غيرنا، عز الدين بن زغيبة، العدد64، يناير 2009، ص 8-9.

ت-5/ خزائن المخطوطات بأقاليم توات الواقع والآفاق، أحمد جعفري، العدد64، يناير 2009، ص ص120-129.

ث- مجلة رفوف التي تصدر بجامعة أدرار (الجزائر)، وهي مجلة تعنى بقضايا المخطوط والدراسات الإنسانية، [عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول المخطوط، السنة 3-4 ديسمبر 2013، العدد2] و[عدد خاص بالملتقى الدولي الثاني حول المخطوط بأدرار تحت عنوان: المخطوطات الجزائرية في عيون العرب والمستشرقين، 2-3 مارس 2015، العدد5-6]

3/ الرسائل الآكاديمية:

نذكر منها على سبيل التمثيل:

أ/ (إشكالية رقمنة المخطوطات بالجزائر) من إعداد أبالحبيب حمزة، جامعة وهران، قسم العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، رسالة ماجستير، 2015/2014 (مخطوط)

ب/ (المخطوط والبحث العلمي) من إعداد مولاي امحمد، جامعة وهران، قسم العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، رسالة ماجستير، 2009/2008 (مخطوط)

ج/ (فهرسة وتحقيق المخطوطات في الجزائر) من إعداد حاج قويدر العيد، جامعة وهران، قسم العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، رسالة ماجستير، 2013/2012 (مخطوط).

د/ (الإنتاج الفكري الجزائري المخطوط في المكتبة الوطنية الجزائرية) من إعداد بونفيخة فتيحة، جامعة

الجزائر، قسم المكتبات والتوثيق، رسالة ماجستير، 1999، (مخطوط).

هـ/ (مخطوطات المؤلفين الجزائريين في المكتبة الوطنية الجزائرية، فهرس فنيان) من إعداد عبد القادر أوقاسي، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، رسالة ماجستير، 1998، (مخطوط).

4/ المخابر المتخصصة:

أنشأت في الجزائر ثلاثة مخابر كبرى تهتم بهذا الشأن، وقد أولت لها الدولة عناية بالغة في سبيل ترقية المخطوط الجزائري، وهذه المخابر:

أ/ جامعة منتوري بقسنطينة (مخبر مخطوطات البحوث والدراسات في حضارة بلاد المغرب).

ب/ جامعة الجزائر (مخبر المخطوطات وتحقيق التراث الأدبي واللغوي بالجامعة المركزية، ومخبر المخطوطات بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ببوزريعة)

ج/ جامعة وهران (السانية): (مخبر مخطوطات شمال إفريقيا بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية).

5/ المواقع الإلكترونية:

لعل أبرز المواقع الإلكترونية المهتمة بالتراث الجزائري دراسة وتأليفا هو موقع: (مدونة سيدي بن عزوز)، هذا الموقع في تعامل مستمر مع ما يستجد في ميدان جمع التراث الجزائري، سواء منه المطبوع أو المخطوط، وفي ميادين شتى (التاريخ، الجغرافيا، الأدب، اللغة، الفلك، التصوف، الفقه، علوم القرآن، الأدب الجزائري، الشعر الجزائري، الأدب والشعر الشعبي.....)

ثانيا/ المخطوطات وتحقيقها حتمية علمية:

من خلال احتكاكي القليل بعالم قراءة البحوث المهتمة بتحقيق المخطوطات تقينت بأنه عالم رحب وبحر فسيح ما له ساحل، وكان لزاما للذي يلج هذا العالم أن يكون صبورا جلدا ومتخصصا وعارفا بفنون شتى كفن الخطوط وفن البرديات وفن الأقلام وكل ما له علاقة بعلم العربية، إضافة إلى حب هذا التخصص، لأنه بالمحبة تتحصل على المراد، ومن الأمور التي تحثنا على البحث عن المخطوطات وتحقيقها هو الإحساس بالآتي:

1/ قيمة هذا التراث:

تتجلى قيمة هذا التراث في المحافظة عليه وقَدْرُه حق قدره لأنه القنطرة الموصلة إلى بر الأمان، يقول عبد الرزاق حسين:" هل تستطيع الشجرة أن تعيش بعد قطع جذورها؟ فتخضر وتورق وتزهر وتثمر؟ أم أنها تصفر أوراقها وتذبل وتيبس غصونها ويتطوح جذعها مع كل هبة رياح حتى تسقط خامدة هامدة لا تصلح إلا طعمة للنيران.

والتراث هو جذور هذه الأمة الضاربة في عمق التاريخ الحضاري لها الذي يزيد عن أربعة عشر قرنا من الزمان به نحيا ونزهر ونثمر وبدونه نكون قد قطعنا جذورنا وقصصنا ألسنتنا وسلخنا جلدنا فنصبح نحن غيرنا، لا نعرف أنفسنا ونطمس ماضينا فنصبح بلا ماض ويتوه عنا حاضرنا فنغيب عن مستقبلنا لأن التراث هو الحبل

القوي والرباط المتين الذي يربط الماضي بالحاضر والمستقبل...أمّا قيمة هذا التراث فلا تكمن في كمّه الهائل ولا في تنوعه الثر، ولا في قدمه، أو في مكانة علماء السلف وإنما تكمن كذلك في مجموعة أمور منها: يعد تراثنا الأساس المتين والأرضية الواسعة التي مهدت لنا في ميادين التأليف والتصنيف وجعلت الطريق أمامنا سالكا حيث غدا كثير من العلوم الشرعية واللغوية في متناول أيدينا وتمدنا بما نحتاج إليه من مسائل وقضايا وأفكار في كثير من العلوم والفنون وتوفر لنا كما هائلا من المادة.. تقدير ما قدّمه سلف هذه الأمة من جهود ظهرت في غزارة إنتاجهم وفي جودة تآليفهم وفي تنوع مادتهم وفي سعة اطلاعهم، عدم غمط هذه الحضارة حقها في عظمة نتاجها أو التقليل من أهمية ما وصلت إليه.. إنّ معرفتنا بتراثنا المعرفة الحقة تجعلنا على ثقة مما تحت أيدينا ولا تمنعنا هذه الثقة من الاستفادة من علوم الآخرين وتطوير ما لدينا وعدم الوقوف عند محطة الأقدمين بل البناء عليها وتجاوزها "(1)

2/ تحقيق المخطوطات أفضل معلم وأفضل مدْرَسَة:

الحق يقال أنه من أراد العلم والاغتراف منه، فعليه بعلمي القراءة والتحقيق، لأنهما أفضل معلم يتعلم منه الواحد منّا، فقل لي كم حققت وقرأت أقل لك من أنت، "فالتحقيق معرفة لا يصل إليها إلا من اغترف من ينابيعها، بل هو أفضل معلم يعلمنا أصول المنهج العلمي الصحيح، ومدرسة نتخرج ونحن نملك الأهلية: للدرس والفهم والتحليل والتعليل والنقد والحكم والموازنة، فالمحقق يسبر أغوار التراث ويفتش أسرار الفهارس وخزائن الكتب ويعايش المؤلفين والمصنفين القدماء ويعرف ويكابد مصاعب الوصول إلى المعلومة، ويتقن فن الفهرسة والترجمة، والتعريف، وتحصل له القدرة الثقافية المتنوعة من خلال تعرض المخطوط لعدد من العلوم في آن واحد"(2)

3/ تحقيق المخطوطات معرفة للذات وللآخر:

يعتبر ما خلّفه لنا أجدادنا من تراث في شتى العلوم والفنون لابد أن ينظر إليه على كنز من الكنز ومن ثم وجب أن يُرَاع برعاية خاصة جدا " فعندما يطّلع المحقق أو القارئ على الإنجازات العلمية التي حققها تراثنا المجيد، والإبداعات المتنوعة في مختلف العلوم والآداب، يصبح قادرا على معرفة ذاته ومعرفة الآخر، وتقدير ذلك تقديرا صحيحا لا يشوبه الإغراق في النرجسية والتعصب للذات، ولا يلفته الآخر عن نفسه"(3)

4/ تحقيق المخطوطات علم وفن وممارسة وجهد شاق:

هذا عنصر طريف وشائق لكنه مخيف وشائك، وتبرز طرافته في أنه يزود الباحث بكثير من العلوم والفنون ويتجلى شقاؤه في الجهد والنكد الذي يكابده المحقق أثناء تشريحه للمخطوط، يقول عبد الرزاق حسين "أما العلم بالتحقيق فعلمان: علم متصل بالموضوع، فعلى المحقق في ميدان بعينه أن يكون صاحل اختصاص، كمن يحقق في التفسير أو الحديث أو اللغة أو الأدب أو غير ذلك من العلوم، ويحتاج المحقق في غير اللغة والأدب إلى جانب اختصاصه أن يكون على علم جيد بالعربية.. وعلم متصل بالتحقيق، فمن أصول التحقيق أن يكون لدى المحقق معرفة عميقة بتراث الأمة وبمناهج المحققين وبالخط العربي وبالتمييز بين النسخ جيدها ورديئها"(4)

إضافة إلى كل ما سبق ذكره فإنه على المحقق أن يكون على دراية بـــ:

- المعرفة العلمية بمناهج المحققين واطلاع واسع بكتب التراث وفي ميدان التخصص.
- المعرفة العميقة لمصادر المخطوطات، أماكنا ونشرا.
- المعرفة الدقيقة باللغة العربية وعلومها، وبالثقافة الموسوعية.
- الصبر والتحمل والشعور بقيمة هذا الإرث ومحبته.
- الأمانة العلمية في التعامل مع المخطوط، تحقيقا ودراسة.
- المعرفة الكاملة والإحاطة بكل ما ورد في المخطوط وعدم الخروج عما يصبو إليه صاحبه.

ثالثا/ فؤاد سزكين، العالم بالعلوم العربية الإسلامية:

1/ دور العرب والمسلمين في بناء حضارات الغير:

لقد كرّس الباحث فؤاد سزكين (Fuad Sezgin) نفسه لخدمة التراث العربي الإسلامي، وهو العالم التركي الموسوعي البيبليوغرافي المهتم بهذا التراث، الذي ما فتئ يؤكد على مسألة مهمة لطالما غفل عنها الباحثون، وهي: لولا الحضارة العربية الإسلامية وما خلفته من تراث – المنطوق منه والمكتوب – لما صارت أوروبا إلى ما هي عليه الآن، يقول سَزْكين:" ما أرى العلوم الغربية إلا كتطور للعلوم الإسلامية حدثت في بيئة وظروف مختلفة، وعندما ذكرت للعديد من زملائنا الألمان الذين زاروا معهدنا الأدلة على ادعاءاتي في هذا السياق من خلال عرض أسماء هؤلاء العلماء ومؤلفاتهم في المتحف والمكتبة الموجودتين بالمعهد، لم يستغرب ذلك أحد منهم ولم يستطع الاعتراض عليه"(5)

ويقول في موضع آخر:" عندما أعددت فهرس متحف المعهد ومجلد المقدمة تطورت وتبلورت لديّ وجهة نظر مفادها: أنّ أوروبا لا تدري كم هي مدينة للإيطاليين، ولم يشهد تاريخ العلوم ظهور أمّة تحمل من الذكاء والعقل والاجتهاد والبراعة وقليلا من المكر كالأمة الإيطالية، فلقد نقلوا عن المسلمين كل ما يمكن نقله حيث نقلوا العلوم وأخفوها دائما"(6)

ومازال الباحث يؤكد كم من مرة على الدور الذي لعبه العرب والمسلمون على مرّ التاريخ في تفجير العلوم ومساهمتها في بناء حضارات الغير، يقول:" إنّ الفترة التي تطورت فيها العلوم بأسرع وتيرة كانت في العالم الإسلامي، ونرى أن المسلمين قد ساهموا في حدوث طفرة علمية سريعة للغاية في الحضارات المجاورة اعتبارا من السنوات العشر الأولى التي ظهروا فيها على مسرح التاريخ، وعلى عكس ما هو معروف اليوم، فإن تأسيس معظم فروع العلم الحديث لا يرجع إلى قرن أو قرنين من الزمان، بل يرجع إلى العلماء المسلمين"(7)

2/ أعمال فؤاد سزكين:

إذا رمنا الحديث عن مؤلفات العالم فؤاد سزكين فإننا سوف لن نوف الرجل حقه إثر هاته المسيرة الحافلة بالعلم والتأليف، وعليه فإننا سنشير إلى أبرز أعماله التي تدل على ضلوع الرجل في علوم شتى، وبالحق كان بيبليوغرافيا من الطراز الأول، يقول بِلْمَاز:" لقد أرسل نسخا باللغة الألمانية من الطبعة الأولى لكتابه العلم

والتكنولوجيا في الإسلام wissenschaft und technik im islam الذي يقع في خمس مجلدات إلى الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير الخارجية في ألمانيا الذين أمطروا بدورهم مضمون الكتاب بكلمات المدح والثناء"(8)

أمّا الكتاب الثاني والذي يعتبر بيبليوغرافيا لا مثيل لها في فهرسة مخطوطات العالمين العربي والإسلامي في علوم شتى، يقول بِلْمَاز:" ويعتبر كتاب تاريخ الأدب العربي –Geschchte des Arabishen Schrifttums Gas الذي ألفه الأستاذ فؤاد سزكين هو من أهم عمل في هذا المجال، إذ يعد أحد أبرز المراجع التي لا غنى عنها في مجال تاريخ العلوم الإسلامية"(9)

ويمكن أن تصنف أعمال هذا الباحث، والذي أكثرها مازال مرقونا باللغة الألمانية بحكم دراسته وتدريسه هناك، والتي تنم عن ضلوع الرجل في العلوم الإسلامية بصفة خاصة، يقول بِلْمَاز:" ويمكن تصنيف القائمة التي جمعتها من الكتالوجات المتاحة والمنشورات المتعددة على النحو التالي: الجغرافيا الإسلامية، بيبلوغرافيا الدراسات العربية باللغة الألمانية، المكتبة الشرقية، سلسلة المعاجم، تاريخ العلوم العربية والإسلامية، التأريخ وتصنيف العلوم في الإسلام، العلم والتقنية في الإسلام، العمارة الإسلامية، الرياضيات والفلك في الإسلام، الطب الإسلامي، الفلسفة الإسلامية، مجموعة الجغرافيا الرياضية ورسم الخرائط، العلوم الطبيعية في الإسلام، العلوم المالية في العالم الإسلامي، العالم الإسلامي في كتابات الرحالة الأجانب، مجموعات علم الموسيقى في الإسلام"(10)

3/ شهادات التقدير التي نالها الأستاذ فؤاد سزكين:

يعتبر هذا الباحث قامة من قامات العلم والمعرفة، مما أهّله أن ينال اعتراف العديد من الدول والهيئات نظير ما قدّم للإنسانية فقد " نال جوائز كثيرة ومنها جائزة الملك فيصل عام (1978م) واستخدمها كتمويل لتأسيس المعهد في بدايته، كما حصل عام (1982م) على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من دولة ألمانيا، كما منح أعلى وسام في ألمانيا عام (2001م) هذا فضلا عن حصوله على ميدالية جوته (Geothe) بمدينة فراكفورت..واختير لنيل العضوية الشرفية بالأكاديمية التركية للعلوم (TUBA) وقد حصل الأستاذ أيضا على الجائزة الدولية الإيرانية للعلوم الإسلامية عن كتابه (العلم والتكنولوجيا في الإسلام) الذي جاء في خمس مجلدات..واختير أيضا لعضوية ثلاث أكاديميات كبرى للغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، كما حصل على عضوية الأكاديمية الملكية في المغرب"(11)

4/ محتوى كتاب (تاريخ التراث العربي):

يتألف هذا الكتاب من مجموعة من المجلدات، قوامها اثنا عشر (12) مجلدا، وكل مجلد يحتوي على مجموعة من العلوم والفنون، نوردها على النحو الآتي:

المجلد الأول: يحتوي على علم القراءة والتفسير والحديث والفقه والكلام والتصوف.

المجلد الثاني: الشعر العربي بكل عصوره (الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي).

المجلد الثالث: الطب، الصيدلة، البيطرة، علم الحيوان.

المجلد الرابع: الكيمياء، الزراعة، علم النبات.

المجلد الخامس: الرياضيات.

المجلد السادس: علم الفلك.

المجلد السابع: علم أحكام النجوم.

المجلد الثامن: علم اللغة والنحو.

المجلد التاسع: أدب النثر الفني ونظرية الشعر والبلاغة.

المجلد العاشر: الفلسفة، المنطق، الأخلاق، السياسة، علم الاجتماع، علم النفس.

المجلد الحادي عشر: علم الفيزياء، الجيولوجيا، الموسيقى، الجغرافيا.

المجلد الثاني عشر: المدخل إلى العلوم العربية (12)

رابعا/ حواضن المخطوطات في الجزائر من خلال كتاب تاريخ التراث العربي:

1/ توطئة لابد منها:

- تعد الجزائر كغيرها من البلاد العربية الإسلامية الغنية بالمراكز العلمية التي تحتفظ بالمخطوطات في الزوايا والخزانات الشعبية والمساجد والكتاتيب القرآنية والقصور ومكتبات الأفراد والأسر.
- إنّ هذه المخطوطات تشمل مختلف العلوم وفنون المعرفة الإنسانية من حديث، وتفسير، وفقه، ومنطق، وفلسفة، وطب، وزراعة، وفلك، وتوحيد، وعقيدة، وكيمياء، ورياضيات، وميقات، وحساب، وجبر وهندسة، وجغرافية، وتاريخ، ورحلات، وسير، وتراجم، وأدب، ونحو، وصرف، وبلاغة، وتصوف، وغيرها من صنوف المعرفة.
- من خلال قراءاتي المتواضعة في هذا الموضوع، وتصفحي لبعض الكتابات التي تحدثت عن الحواضن والمراكز التي تحتوي على مخطوطات علماء الجزائر تبين لي الآتي:

أ/ أنّ تراثنا المخطوط أحيط بعوامل جعلته يكون في طي النسيان والعدم "فالاستعمار عمل على محوه من الوجود حرقا وتهريبا وطعنا في قيمته وإلجاما للسان مستعمليه، والطبيعة فعلت فعلها (البلى، الرطوبة، الأرضة)، والإنسان المالك له يحتفظ به تبركا وتيمنا، ولا يسمح لأحد بالاقتراب منه مهما كانت درجته الفكرية إلا ما ندر، وأخيرا انصراف الجهات الرسمية عنه"(13)

ب/ كتب الأستاذ بن زغيبة تحت عنوان (خزائن المخطوطات الخاصة بولاية أدرار الجزائرية بين تشدد المالكين ورغبة الباحثين)، وأشار إلى أنّ غالبية سكان هذه المنطقة يحجرون على هذه المخطوطات، ولا تعطى للباحثين، يقول في هذا الصدد: " إنّ تشدد أصحاب عدد من المكتبات في السماح للباحثين للاطلاع عليها أو تصوير ما يريدونه لأبحاثهم، وعدم السماح للذين يريدون ترميمها والحفاظ عليها من الاقتراب منها جعل ضياعها بمرور الزمن أمرا أكيدا"(14)

ومن الأماكن التي ذكرها الأستاذ بن زغيبة في هذا الصدد:

المكان	عدد المخطوطات
المكتبة البكرية للحاج عبد الحق القاضي بتمنطيط	3500 مخطوط
مكتبة الشيخ محمد باي بلعالم بأولف	// 1500
مكتبة الشيخ الحاج محمد بالكبير بأدرار	// 1500
مكتبة المطارفة لصاحبها محمد الطيب بدائرة وقروت	// 600
مكتبة الحاج محمد باللوليد بقصر بوكان	// 500
مكتبة الحاج حسن في أنزجمير بجنوب أدرار	// 400
مكتبة بن يلو لصاحبها محمد الجعفري بمنطقة بوده	// 240
مكتبة السليماني أحمد بأدرار	// 200
مكتبة الإمام المغيلي بزاوية كونته	// 150
مكتبة كوسام لصاحبها شاري الطيب	// 150

2/ مسرد الأماكن الحاضنة لمخطوطات علماء الجزائر كما صرح بها الباحث سزكين (15)

في الحقيقة أنّ مراكز المخطوطات في الجزائر مازال يكتنفه نوع من الغموض، وأنّ تحديد كل الأماكن عبر كامل التراب الوطني فيه من الصعوبة والمشقة، بحيث أن باحثا لمفرده لا يستطيع أن يقوم بهذه المهمة التي تنوء عن حملها الجبال، بل لابد من تضافر الجهود، وإنشاء لجان متخصصة في كل ولاية، وهي بدورها تنشئ مجموعات لها من القدرة والكفاءة التي تؤهلها لهذا العمل المضني والشاق، حتى نستطيع على الأقل أن نحاصر هذه الأماكن، سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى المؤسسات.

أقول هذا الكلام وأستدل به على فؤاد سزكين الذي حاول جهده – وهو الرجل البيبلوغرافي المتجول – ولكنه لم يتحصل إلا على بعض الأماكن المتوزعة هنا وهناك، والتي بلغ تعدادها السبعة عشر مكانا، وهي نسبة قليلة إذا ما قارناها بعدد الولايات، وكل ولاية فيها من الزوايا والمساجد والخزائن والمكتبات والأسر والأفراد ما لا يحصى.

وقد حاول الباحث عبد الكريم عوفي أن يحيط بذلك خُبْرًا، من خلال بحث معنون بـ: (التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم) بأن يحصي أهم محاضن المخطوطات بالجزائر، الذي راح بدوره يقسمها إلى مراكز رسمية وأخرى خاصة (أهلية)، وقد وصف هذا الباحث بأن المراكز التي أحصاها سزكين هي" أسماء بعض الخزانات والمكتبات المشهورة مما لم يصل إليها الباحثون لكشف محتوياتها لأسباب يطول شرحها"(16)

ومن هذه المكتبات التي أحصاها سزكين في كتابه الآتي:

أ/ برّيان: مكتبة الطرابلسي الخاصة: هذه المكتبة ذكرها الدكتور شاخت (Schacht) وقام بوصف مخطوطاتها ضمن كتابه: (Bibliothèques et manuscrits abadites)

ب/ بسكرة: مكتبة زاوية سيدي خالد في الزيبان بالقرب من بسكرة

ج/ بطيوت: مكتبة الشيخ المهدي البوعبدلي الخاصة، يقول عوفي:" عمل صاحبها طوال حياته على جمع ما تيسر له من المخطوطات النفيسة، ورصد أماكن وجودها قديما وحديثا فكون مكتبة عامرة بالمخطوطات وتعد من أغنى المكتبات الخاصة"(17)

د/ بني يزقن: مكتبة الشيخ اطفيش (محمد بن يوسف اطفيش)

هـ/ بوسعادة: مكتبة زاوية الهامل، وهذه المكتبة ذكرها الدكتور رينيه باسيه (R.Basset) ضمن كتابه (les manuscrits arabes de la zaouiah DEL Hamel)

و/ تلمسان: مكتبة مدرسة تلمسان، وهذه المكتبة ذكر مخطوطاتها الدكتور كور (A.Cour) ضمن كتابه (Catalogue des manuscrits arabes conservés dans les principales bibliothèques algériennes)

- مكتبة المرحوم القاضي شعيب.

ز/ تماسين: مكتبة الزاوية التيجانية، وهذه المكتبة ذكرها الدكتور رينيه باسيه (R.Basset) ضمن كتابه (les manuscrits arabes des bibliothèques des zaouïa de Ain Madhi et Temacin De Ouargla)

ح/ الجزائر:

- المكتبة الوطنية: أنشئت هذه المكتبة عام 1852م، وهي تضم حوالي (3500) مخطوطا، وقد ذكر هذه المكتبة الدكتور فانيا (Fagnan) ضمن كتابه (manuscrits de la bibliothèque – Musée d'Alger)
- مكتبة الجامع الكبير: حيث أعدّ محمد بن شنب فهرسا للمخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبات الجزائرية الكبرى ومنها مكتبة الجامع الكبير بالجزائر.
- مكتبة المتحف : ينظر المكتبة الوطنية.

ط/ جلفه: مكتبة باش أغا: حيث كتب الدكتور رينيه باسيه (R.Basset) ضمن كتابه (les manuscrits arabes du Bach-Agha de Djelfa)

ي/ سيدي بلعباس: زاوية الدرقاوه.

ك/ سيدي مبروك: مكتبة المرحوم الشيخ نعيم النعيمي: وهي توجد بحوزة أسرته بالقرب من مدينة قسنطينة.

ل/ طولقه: زاوية سيدي علي بن عمر، وتوجد بها من المخطوطات القيمة التي زادت عن ألف وخمسمائة مخطوط(18)، ويقول عوفي:" هي من أغنى الخزانات في منطقة بسكرة بل في الجزائر عامة..وتحتفظ اليوم بمخطوطات في شتى فنون المعرفة الإنسانية، وقد حرص شيوخها على الحفاظ عليها وتمكين الباحثين والدارسين من الوقوف عليها"(19)

- الزاوية الرحمانية.

م/ العطوف: مكتبة عمر بن حمو الخاصة، وقد ذكرها الباحث شاخت ضمن كتابه: (Bibliothèques et manuscrits abadites)

ن/ قسنطينة:

- مكتبة زاوية ابن الحملاوي.
- مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: قدّرت عدد المخطوطات فيها ما يربو عن المائة والخمسين مخطوطا من صنوف العلوم

س/ قراره: مكتبة بلحاج الخاصة: وقد ذكرها الباحث شاخت ضمن كتابه: (Bibliothèques et manuscrits abadites)

ع/ مليكه: مكتبة يحي بن صالح الخاصة: وقد ذكرها الباحث شاخت ضمن كتابه: (Bibliothèques et manuscrits abadites)

ف/ وهران: مكتبة الشيخ المهاجر.

وزيادة على ما تقدم، لابأس أن نشير إلى بعض الزوايا والمكتبات التي حوت الميئات من المخطوطات ومالكوها هم الأسر والأفراد، ومن أهم هاته المحاضن الرسمية الخاصة، الآتي بيانه :

فمن الأولى " المكتبة المركزية في جامعة عين الباي، مكتبة المركز الثقافي بقسنطينة، مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار، مكتبات نظارة الشؤون الدينية في الولايات، مكتبات المساجد الكبرى، المكتبات والخزانات العامة في القصور والأضرحة في مناطق الجنوب كأدرار وتمنراست وتندوف وبشار والوادي وورقلة، متحف المجاهد في الجزائر العاصمة"(20)

أما الثاني (المراكز الخاصة) فمنها على سبيل المثال (21)

الخزانات الشعبية في منطقة أولف بالجنوب	خزائن بلدتي أولف وتمقطن خزانة الشيخ الباي بالمدرسة القرآنية خزانة الطالب داده سيدي أحمد
خزائن مرتبطة بالعائلات	خزانة الطالب محمد بن أحمد الأغزيري خزانة عائلة باشيخ بتقراف خزانة الشيخ عبد الرحمن البرمكي خزانة الشيخ محمد بن مالك بساهل خزانة المنصور بأقبلي
خزائن بلدية أقبلي	خزانة عائلة عقباوي بزاوية بونعامة خزانة أركشاش

مكتبات ادرار (توات–قرارة–تدكلت)	1/ مركز توات: (مكتبة كوسام– مكتبة بني تامر – مكتبة وجلان– مكتبة زاوية سيدي حيدة) 2/ مركز تنجرين: (خزامة المطارفة– خزامة أقسطن– خزانة أولاد عيسى–خزانة تتركوك 3/ مركز تدكلت: (مكتبة أقبلي الزاوية – مكتبة ساهل القديم
المكتبات المتوزعة في ربوع الوطن	مكتبة الشيخ التهامي صحراوي بباتنة مكتبة زاوية مولى القرقور بباتنة مكتبة الشيخ البوعبدلي بوهران مكتبة الشيخ نعيم النعيمي خزانة الزاوية القندسية ببشار مكتبة زاوية ابن عبد الصمد بباتنة مكتبة زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة بميلة مكتبات منطقة وادي ميزاب بغرداية مكتبة علي الزغداني بأم البواقي مكتبة الأستاذ أحمد بن السايح ببسكرة خزانة محمد زقاديا ولاد جلال ببسكرة مكتبة الأستاذ مختار بوعناني (الرمشي بتلمسان) خزانة زاوية محمد المختار بن تفغ بن الأعمش الجكاني خزانة أهل العبد بقصر الرماضين بتندوف

الخاتمة:

هذا ما تسنى لنا جمعه والحديث عنه، ولا يمكن لورقة بحثية كهذه أن تحيط بكل صغيرة وكبيرة مما له صلة بالموضوع، وإن كان من كلمة تقال في هذا الصدد، أنه لابد من شحذ الهمم والتشمير عن سواعد الجد، وبذل النفس والنفيس إذا أردنا حقا أن نحمي تراث الأسلاف من الاندثار، لأن حماية التراث بشكل عام والمخطوطات على وجه الخصوص مسؤولية الجميع، لأنّ هذا " سيساعدنا على إبراز الدور الحضاري والثقافي للمجتمع الجزائري عبر الأعصر المختلفة، بل هذا ما يمكننا من إنقاذ آلاف المخطوطات التي طواها النسيان وأتت عليها قرون طويلة وهي تئن تحت الأتربة وعاديات الزمان، إنّ كشفها مهمة الجميع وبعثها لتؤدي وظيفتها الفكرية يعطي صورة حية وفكرة صادقة عن مكانة العلماء الجزائريين من حيث عنايتهم بالفكر الإنساني ومدى مساهمتهم في ترقيته وتطويره"(22).

إحالات البحث

1/ تحقيق المخطوطات ضرورة علمية، عبد الرزاق حسين، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة20، العدد77، ربيع الثاني 1433هـ – مارس 2012م، ص127–129.

2/ المرجع نفسه، ص130.

3/ المرجع نفسه، ص131.

4/ المرجع نفسه، ص131.

5/ مكتشف الكنز المفقود فؤاد سزكين، تأليف عرفان يلماز، ترجمة أحمد كمال، ط1، دار النيل، القاهرة، 2015، ص106.

6/ المرجع نفسه، ص108.

7/ المرجع نفسه، ص109.

8/ المرجع نفسه، ص325.

9/ المرجع نفسه، ص327.

10/ المرجع نفسه، ص328.

11/ المرجع نفسه، ص 322–323.

12/ ينظر: المدخل إلى علم البيبليوغرافيا، أبوبكر محمود الهوش، المكتبة الآكاديمية، مصر، ط1، 2001م، ص159–160.

13/ جمعية التراث بالقرارة ومشروعها الطموح لحماية المخطوطات في منطقة وادي ميزاب (الجزائر)، عبد الكريم عوفي، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، المجلد3، العدد2، يناير–أفريل 1999م، ص459.

14/ مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة16، العدد 21، ربيع الثاني 1429هـ، ص5.

15/ تاريخ التراث العربي (مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم): فؤاد سزكين، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، وراجعه عرفه مصطفى، ط1، مطبعة إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، الرياض، السنة 1411هـ/1991م، ج1 ص 134–138.

16/ مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة (أفريل 1998م)، العدد 20–21، ص124

17/ التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم، عبد الكريم عوفي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 20–21، أفريل 1998م، 110.

18/ فهرس لأهم خمسمائة مخطوط من مخطوطات مكتبة زاوية علي بن عمر، يوسف حسين، ط1، دار التنوير، الجزائر، 2005م، ص1.

19/ التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم، ص119

20/ المرجع نفسه، ص114–115.

21/ المرجع نفسه، ص116–125.

22/ المرجع نفسه، ص130.

❋❋❋